

التفسير المختصر - سورة العنكبوت (٢٩) - الدرس (٣-٩) : تفسير الآياتان ٥ و ٦ ، من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لأت وهو السميع العليم.....
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٩-٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسْتَمِعُونَ القول فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلُنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

أيها الإخوة الكرام، الآية الخامسة من سورة العنكبوت، وهي قوله تعالى:
﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَيْرُ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)﴾

(سورة العنكبوت)

الرِّجَاءُ حَالَةٌ مِّنْ حَالَاتِ النَّفْسِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَرْجُوَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَرْجُوُ الْجَنَّةَ، وَالصِّحَّةَ وَالغُنْيَةَ وَالطَّمَانِيَّةَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ رَبَطَ الرِّجَاءَ بِالْعَمَلِ، وَلَمْ يَرْبِطْهُ بِالْأَمْلِ، فَفَحْنَ عَنْدَنَا تَأْمُلٌ وَتَمَنِّيٌّ، وَعَمَلٌ فَإِذَا كَانَ بِالْقَطْرِ، ثَلَاثَةُ مَائَةٍ طَالِبٌ لِلشَّهَادَةِ الثَّانِيَّةِ فَهُؤُلَاءِ جَمِيعُهُمْ يَتَمَنَّوْنَ النَّجَاحَ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ، فَالْتَّمَنَّى شَيْءٌ، وَالسُّعْيُ وَالْعَمَلُ شَيْءٌ آخَرُ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: **﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣)﴾**

[سورة النساء]

الله جل جلاله لا يتعامل معنا بالتمنيات إطلاقاً، فالتمني سهل، جالس ومؤدي على المخالفات ولا يسعى لطلب العلم ولا يقيمه الإسلام في بيته ولا في عمله ويتمنى أن يكون من أهل الجنة، وقد يقول: نحن عبيد إحسان وليس عبيد امتحان ! هذا كلام سخيف، قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢)﴾

[سورة الحجر]

وهناك أدعية ليست من السنة: اللهم لا تسألنا عن شيء ! فهذا لم يقله النبي الكريم، ولكنه قال: **((اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك))**

أما لا تسألنا عن شيء فهذا خلاف القرآن، قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢)﴾

[سورة الحجر]

إذا الأشخاص رجالن ؛ رجل يتعامل مع الله تعالى بالتمني، ورجل يتعامل مع الله بالعمل، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١١)

[سورة البقرة]

قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠)

[سورة البقرة]

((يا فاطمة بنت محمد أنقذني نفسك من النار فأنا لا أغني عنك من الله شيئاً !! لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بآنسابكم، من يبطئ به عمله، لم يسرع به نسبه، فاما أن تعمل بالتنمية مه الله التي لا تقدم ولا تؤخر))

قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَباءً مَنْثُورًا﴾ (٢٣)

[سورة الفرقان]

وإما أن تتعامل مع الله تعالى بالعمل، والآلية الدقيقة جداً، قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعْيَهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩)

[سورة الإسراء]

وأدق ما في الآية ضمير الهاء، فلم يقل: من أراد الآخرة وسعى لها ! وإنما قال:
﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾

سعى لها المكافىء، وسعى لها المطلوب جنة عرضها السماوات والأرض لا تُتَال بصلة هشة، إنما تُتَال بمجاهدة النفس والهوى، وجنة عرضها السماوات والأرض لا تُتَال بالتبرك ! يُقيم مسبح مختلط أو مطعم فيه خمر ثم يدعوه كمية من العلماء ويقول: تباركنا !! لذلك قال تعالى:
﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٢٣)

[سورة النساء]

قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠)

[سورة البقرة]

قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠)

[سورة البقرة]

ربنا عز وجل يقول:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)

[سورة الكهف]

ما قيمة الإعتقاد إن لم تكن هناك حركة تؤكد، قال:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)

[سورة الكهف]

وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَائِتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَتَنَاهُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٧٢)

[سورة الأنفال]

فالذي لا يأخذ موقفا عمليا فلا قيمة من اعتقاده، وهذا إيليس ويؤمن بوجود الله، والدليل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَبَعَزَّتِكَ لَا يَغُوِّنُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢)

[سورة ص]

فكل إيمان لا ينتج عنه عمل فهو إيمان إيلسي ! لا يقدم ولا يؤخر.

فآلية الكريمة:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)

[سورة الكهف]

لقاء الله الاتصال به، وأن يتجلّى الله عليك بالسکينة وأن يملأ قلبك نوراً، وأن يوفقك لعمله، وأن يسدّد خطاك، وأن يسعدك في بيتك ويحفظك من السوء، وهذا كله من معاني اللقاء، قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٥)

[سورة العنكبوت]

إلا أن هناك نقطة دقيقة، وهي أن الله تعالى رب والرب بمعنى مُرِبٍ فالإنسان أحياً يطمع في حِجْبَهُ، ويباًس فِي قَرْبَهُ، وهكذا، فالإنسان إذا طمع من رحمة الله دون أن يقدم ثمنها، فهذا سوء أدب مع الله، فلو أن شخصاً دخل لمحل سجّاد، وقال: أريد سجّاداً، وكلف البائع أن يري له كل البضاعة، وبقي ما يقرب عن الساعتين، فهل يعقل أن يقول هذا المشتري للبائع إن السجاد الذي ثمنه كذا يعني إيه خمس ليارات ؟؟!! وهكذا طلب الجنة من دون عمل ذنب من الذنوب جنة إلى الأبد ولهم ما يشauen فيها من دون انضباط والتزام ومن دون طاعة فالإنسان دائمًا تجده يحتاج إلى فتوى يعلقها في رقبة فلان.

أيها الإخوة الكرام، هناك أحاديث أسميتها مفصلية، فما هو قوله إن أخذت فتوى من عالم أن الأمر الفلاسي لا عليك بأس به ! هل تنفذ من هذا إن علمت أن هذا خلاف الصواب ؟! فلو استطعت أن تأخذ الفتوى من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بطلاقة لسان وقوّة بيان وحجّة، ولم تكن محقّاً فلن تنجو من عذاب الله، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 ((إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمُ الْحُنْ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا
 بِقُوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعَ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذُهَا))

[رواه البخاري]

معنى هذا أنك لا تنجو ولو كانت معك فتوى من رسول الله، لذلك هناك فتوى وهناك نقوى، وأنا أقول لكم: أي معصية إلا وهناك من أفتى بها على طول الزمان، ولكن العبرة بالنقوى لا بالفتوى، والعبرة بهذا المعني الصغير الذي في صدرك، استفت قلبك وإن أفتاك المفتون وأفتوك.

معنى لات؛ فأنت عليك أن تعمل أما المكافأة فقد يأتيك بعضها في الدنيا؛ نفحات وتوقيفات، ولكن الدنيا بمحملها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، ولو كانت تعذلها ما سقى منها الكافر شربة ماء، والله أعطى الملك لسيدنا سليمان وهو يحييه، وأعطاه لفرعون وهو لا يحييه فهل يعذ الملك مقياساً؟ لا، وأعطى المال لقارون، ولسيدنا ابن عوف، فهل يعذ المال مقياساً؟ إن هذه الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك عادل، فأحياناً الإنسان إذا جاءه العطاء مبكراً جلس وتوانى عن متابعة السير، فالله عز وجل يعالج النفس مرّة بالحجاب ومرة بالوصل وأخرى بالقطع ومرة بالتجلي، ومرة بالتوقيف وأخرى بالتعيسير، ومرة بالحفظ وأخرى بالابتلاء؛ كُلُّ هذا من أجل أن تصل إلى القبر كيّوم ولدك أملك، لذلك قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربّه: وعزّتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحبّ أن أرحمه، إلا ابتهلته بكل سينية كان عملها؛ سقماً في جسده أو إقتاراً في رزقه، أو مصيبة في ماله أو ولده، حتى أبلغ منه مثل الذر، فإذا بقي عليه شيء شدّدت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيّوم ولدته أمّه.

فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المُسيّب فقال:

((مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيْبِ تُرْفَزِينَ قَالَتِ الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا فَقَالَ لَا تَسْبِي
 الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُدْهِبُ خَطَايَا بْنِي آدَمَ كَمَا يُدْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))

[رواه مسلم]

فكُلُّ ما يُصيب المؤمن من مكرهات هي كفارات، ضغوط وهموم وأحزان، ومصيبة في ماله وولده وزوجته، ومصيبة اجتماعية أو مادية أو صحيّة؛ كبيرة أو صغيرة، آ杰لة أم عاجلة، وسابقة أم لاحقة كُلُّ مصيبة تصيب المؤمن هي كفاره له، ومحو خطايا، لذا المصائب للمؤمن مُكريات، وللعاشي عقوبات.

قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٥)

(سورة العنكبوت)

الله عز وجل عزيز، معنى عزيز ؛ أنه ليس من أول الوهله ينفتح الباب، ولكنه يحب أن يتمتحن صدقك.

أَخْلَقُ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنُ الْفَرْعَ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَ

يمتحنك بالصلاه، وبتلاؤ القرآن، وبخدمة الخلق، إلى أن يرى فيك الصدق والإلاج، عندئذ يقبلك، ويفتح لك أبوابه، هو سمع دعاءك وعلم حالك، وسوف يفتح عليك في الوقت المناسب، وما عليك أن تفرض عليه، وصليلت ولم تشعر بشيء ! لا عليك المهم أن تصلي في الوقت المناسب وأنقن الصلاه واستقم، فأنت أَلَّا الذي عليك، واطلب من الله الذي لك، فالله تعالى له حكمة، فقد يتجلى على قلبك خارج الصلاه، وقد يُكثرك وأنت خارج الصلاه، وأحياناً تقرأ القرآن فتركت نفسك، فالحال رزق من الله، ولكن مربوط بالاستقامة والعمل الصالح والدليل، قوله تعالى :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَّا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)

[سورة الكهف]

ولكن قال تعالى عندها :

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾

[سورة العنكبوت]

الظاهر كان الآيتين لا علاقة لهما ولكن في الفحوى هناك علاقة كبيرة جداً، أن ترجو لقاء الله دون أن تجاهد لن تصل إليه، قال تعالى :

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجْلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)﴾

[سورة العنكبوت]

دائماً اتهم نفسك وهناك مليون و مليون فضة تؤكد هذا، إذا أصابك ما تكرهه فالله غني عن تعذيبك، وغني عن إفقارك وإمراضك، وإنزال بهم به، فإذا نزل بهم المرض والغم أو الفقر، فكما قال تعالى :

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)﴾

[سورة الشورى]

وإذا فهمت على الله قطعت أربعة الأخماس إليه، فأحد أصحاب المعامل كان يبيع الألبسة وجاءه أحد الإخوة ليشتري منه خمسة قطع فقال له هذا: أنا لا أبيع المفرق، أنا أبيع بالجملة، واعتبر هذا إهانة له ! فقال لي صاحب المعامل هذا: والله ثلاثة وعشرون يوماً ما دخل مصنعي أحد !! لما فعلته مع هذا الأخ، أذهب الله، قال تعالى :

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)﴾

[سورة العنكبوت]

والحمد لله رب العالمين